العرب
الثلاثاء 2021/08/24
السنة 44 العدد 12158

رحلة في قطار الفن والجمال امتدت لستين عاما من الحلم

آري بابان رسام التدفّق التلقائي للمشاعر الإنسانية المختلطة

امتداد أفقي لأفكار تعانق السحاب

لوحات بمثابة قصائد باللون والخط

تجريد المجرّد

على امتداد مشواره الفني الطويل استطاع الفنان الكردي العراقي الراحل آري بابان أن ينحت لنفسه مسارا فنيا منفلتا عن أساليب مجايليه، فقدّم لوحات تلامس بوضوح تأويلاته الخاصة للواقع والأسطورة معا، كما اشتغل بإطناب على إبراز التدفّق التلقائي للمشاعر الإنسانية المختلطة في ثلاثيته الأثيرة الخيال واللون والضوء.

غريب ملا زلال
كاتب سوري

لماذا الجميلون يتركون المكان مبكرا؟ ففي نهاية عام 2020 رحل الشاعر والملحن والفنان محمد علي شاكر أحد أهم الموسيقيين الكرد، وبعده بأيام معدودة التحق به مسرعا الفنان عمر عبيد المعروف بآري بابان (1953 – 2020)، وهو أحد رواد الفن التشكيلي في كردستان العراق.

آري بابان ترك لعشاق لوحاته عطرا فنيا يكفيهم لغسل أرواحهم به لسنوات بعدد سنوات اشتغاله التشكيلي المديد

أتساءل لماذا يختار الرب الشجرة المثمرة ليقتلعها؟ هل هي الأقرب إلى روحه فيلتقطها، أم أنه يدرك أن تربتها لم تعد صالحة لها؟ فلا بد من تربة جديدة حتى تستمر هذه الشجرة في الإنتاج، تربة قد تكون من نور وضوء وروح، فيرجعها إلى أصولها، إلى تقاربها الزماني والمكاني، وكأنه يلعب دورا مهما في عمليات الترابط هذه، فميوله الأخلاقية تقوم على أساس مبادئ خاصة بالتعاطف والانفعالات الموجهة نحو الآخرين.

وقد يكون في ذلك ما تفضله السماء في رسم لوحاتها الزاهية الملونة التي تقوم على ظلال تلك الأشجار وثمارها حتى تدهش الآلهة وتخرجها من عروشها المنطوية إلى الانبساط والنشاط؛ فالمتغيرات السياقية تلعب دورا مهما في الانصياع للمعايير الجمالية الفنية من أجل حدوث فعلي الخلق والتذوّق.

واقعية سحرية

إذا عرفنا أن المعرض الفردي الأول لبابان كان في العام 1972، وكان رحيله عن الدنيا في السادس والعشرين من ديسمبر 2020، فإن رحلته في قطار الفن امتدت ستين عاما تقريبا. وهي رحلة طويلة ترسم علاقة شخصيته الفنية بفنه، أو شخصيته الإبداعية بإبداعه.

الرحلة التي تحتوي أعماله وما تحمله من دوافع وانفعالات وصور وقيم هي الرحلة التي ستحرّر القوى الحيوية لديه من خيال وتأمل مع حضور خبرة جمالية تخلصه من الأطر المألوفة، وبالتالي تهرب به هروبا مؤقتا من قبضة النحن إلى قبضة الأنا الشعوري/ الواعي.

وقد يسقطه هذا في العزلة أو في الوحدة بين الذات والعالم، وهذا شعور يذهب به إلى الطفولة المبكرة ومعايشة ما ينبغي العودة إليه، بمعنى آخر البحث عن الشرط المبكر للجمال، فالتدفّق التلقائي للمشاعر هنا يحضر بقوة وإن كان هذا التدفّق نجده بكثافة في الشعر ولدى الشعراء، هذا يجعلني أقول بثقة إن لوحات بابان كانت قصائد باللون والخط لكثرة ما فيها من تدفقات عميقة، مع أهمية التكامل والتفاعل الحميم بين جوانبها المختلفة.

كان لا بد لبابان أن ينأى بنفسه عن التقليد كي يرى العالم بوضوح من جهة وكي ينطلق من جهة أخرى بخياله نحو عوالم الاكتشاف والابتكار، فيوسّع من هامش التلقائية لديه ضمن أطر تخصّه هو، ويترك زمام التعبير لخبرته وهي تحاول إطلاق الانفعالات، ساعيا إلى إزالة كل أشكال الانفصال بين الذات والموضوع حتى يجد لنفسه بداية جديدة تكون هي خارطة طريقه.

وهو من القلائل الذين اهتدوا إلى هذا الطريق الذي يشبه كثيرا طريق الروائي الكولومبي غابرييل غارثيا ماركيز (1927 – 2014) في الأدب، الطريق الذي تكلّل بواقعية سحرية حملته إلى جائزة نوبل وكذلك إلى وضع صورته على العملة الورقية لبلاده، فهذه الواقعية هي التي عزف عليها بابان لسنوات طويلة وأبدع فيها وتميّز أيضا.

وقد يعود إليه الفضل في فتح هذا الطريق لبعض الأسماء الشابة لاحقا، فقد غرق بابان في الأسطورة مستلهما منها حكايات تكاد تسيطر على مساره التشكيلي، وترسّخ طريقه وتدعم نظريته في الإبداع، وتبرز خصوصيته المجنحة، وتكسبها القيمة الجمالية المتحقّقة من اللعب بالخيال مع اللون والضوء حتى يصل ونحن معه إلى تلك البهجة الانفعالية.

كم هي رائعة وجميلة أمنيات الفنان الحقيقي، فلنقرأ آري بابان وهو يخطّ لنا حلمه؛ "كم أتمنى أن يكون الفن جزءا أساسيا من ثقافة المجتمع، وأن أرى لوحات الفنانين الكرد في المستشفيات والمقاهي والأماكن العامة، وفي المتاحف الكردية".

حكايات أسطورية بواقعية سحرية

حلم مؤجل

هذه الأمنية التي بقيت تلازم بابان أصيل مدينة كركوك العراقية تكاد تكون أمنية الفنانين على امتداد ولادتهم، أمنية لو تحقّقت لأعطتنا سوية المجتمع وهويته، ولبيّنت لنا على أي باب نقف، وأن فتح هذا الباب سيضعنا أمام مرآة تعكس قاماتنا، بحضارتها التي تنطق تاريخا بمظهره الحسي، وحكاياتها التي تروى بطابع موضوعي في ضوء تصوّرات شاملة.

وقد يحدث أن نكتشف أنفسنا بعقول متأملة تضجّ بالجمال وبملكتها الحسية الخاصة، فبتحقيق هذه الأمنية سيجعلنا ندرك الدرج الذي نقف عليه، وليس اعتباطا أن يُقال "تُقاس الأمم بمبدعيها"، فلماذا لا نطلق سراح المبدعين في رسم تاريخنا الحاضر الذي سيكون قنديلا للقادم؟ ولماذا لا نجعل الفن قوّتنا وقوُّتنا في جذب الحياة وبناء إنساننا؟

فحلم بابان ليس صعبا، كما أنه ليس سهلا؛ هو ليس صعبا لأن الأمر يحتاج إلى التفاتة واهتمام به، وليس سهلا لأنه لطالما كان السياسي يرتعد من فكّ خطواته.

وآري بابان من أبناء كركوك، درس في جامعة المستنصرية/ كلية الآداب – قسم المكتبات والمعلومات، وتخرّج منها في عام 1976 ليشغل على مدى سنوات طويلة منصب مدير المكتبة العامة في السليمانية.

وفي عام 2008 عاش بابان كارثة حقيقية تمثلت في اندلاع حريق في بيته أفقده ما يقارب مئة لوحة أكلتها ألسنة النيران. فهل سيعمل القائمون على الشأن الثقافي في كردستان العراق على جمع ما تبقى من إرث هذا الفنان الذي أصرّ على أن يغادرنا تاركا لنا عطرا فنيا يكفينا أن نغسل أرواحنا به لسنوات طويلة، وليس لي غير أن أقول "المبدعون لا يموتون بل يولدون".

> الفنان الكردي العراقي ظل طوال مسيرته الفنية ينأى بنفسه عن التقليد كي يرى العالم بوضوح، منطلقا بخياله نحو الاكتشاف

السعودي فهد الربيق يجمع الواقعية بالسريالية في لوحات تراثية

يتميّز الفنان التشكيلي السعودي فهد بن ناصر الربيق بقدرته على تنويع الأساليب والتقنيات التي يرسم بها موضوعاته. فكل لوحة عنده تتشكل وفق لحظة إبداعية مختلفة عن الأخرى باختلاف الخطاب الكامن في نفسه الذي يريد البوح به. فيبدو تعبيريا في لوحة، وواقعيا في أخرى، وقريبا من السريالية في ثالثة، وتجريديا في رابعة، مع استعمال الكثير من الرموز حتى في اللوحات التي تمثل مشاهد مستمدة من الواقع اليومي.

حجاج سلامة

الرياض - قال الفنان التشكيلي السعودي فهد بن ناصر الربيق إن الحركة التشكيلية العربية لها مستقبل جيّد، يتوازى مع مستقبل الفنون التشكيلية ببلاد الغرب، وأنها تستلهم إنتاجاتها من التراث وتحافظ على الموروث الحضاري للعرب، وتتلاقى في الوقت نفسه مع الثقافات المعاصرة.

ويوضّح "الإنتاجات الفنية للتشكيليين السعوديين ارتبطت بالثقافة العربية بشكل مباشر، حيث انتهجوا نهجا فنيا معاصرا جعلوه موصولا بتراثهم وحضارتهم". وهو يعتبر أن تنمية ثقافة الفنان والوعي بتراثه وحضارته وثقافته الوطنية هي أمر مهم، مؤكّدا أنّ العالم العربي غني بالفنانين العالميين الذين تقتني أعمالهم المتاحف الفنية في الكثير من بلدان العالم.

ويرى الربيق أن ما يحتاجه الفنان التشكيلي العربي هو قيام المؤسسات المعنية برعاية الفنون، وذلك من خلال دعمه على إقامة معارض خاصة في الداخل والخارج، وتيسير مشاركته في المعارض الجماعية، وشتى المنتديات الفنية المحلية والعربية والدولية.

ويؤكّد الفنان السعودي المخضرم أن التشكيلي العربي بشكل عام قادر على اكتساب رزقه من ممارسته للفنون، خاصة بعد أن صارت الأعمال الفنية العربية تباع بأسعار خيالية، وذلك بفضل النهضة الثقافية والعمرانية التي تعيشها الكثير من البلدان العربية.

وحول رؤيته لمسيرة الحركة التشكيلية السعودية، يؤكّد الربيق على أن المدقّق في العطاءات الفنية السعودية يجدها تتصل اتصالا وثيقا بموروث كل منطقة، وأنه "عند غربلة تلك العطاءات نجد أن المملكة غنية برموز كبيرة في مجال الفنون التشكيلية".

واعتبر أن التراث والعادات والتقاليد هي سمات ميزت الفنون التشكيلية في كل منطقة من مناطق المملكة، وأن العطاءات الفنية السعودية ارتبطت بكل ما هو تراثي من فنون وموروثات متعددة.

وحول مسيرته مع الفنون التشكيلية، ومتى ومن أين بدأت؟ قال الربيق إن علاقته بالفنون بدأت في مرحلة مبكرة، وأن أول مشاركة له بالمشهد التشكيلي السعودي كان وهو في سن السادسة عشرة، وذلك بتشجيع من كبار الفنانين –آنذاك– على غرار الفنان محمد موسى السليم الذي كان وقتها رئيسا لقطاع الفنون التشكيلية بجمعية الثقافة والفنون بالمملكة، حيث أقام أول معرض سنة 1977.

ويذكر أنه بعد هذا المعرض، بدأ في التركيز على الواقعية التي تحيط بتراث الجزيرة العربية ونجد، وبيوت الطين والنخيل والعادات والتقاليد، وبعض ملامح الدولة السعودية الأولى في الدرعية.

ويتابع "ثم طلبت إقامة معارض فنية في بلدان عربية مثل تونس والمغرب، وقد كان لي ما أردت، وقد مثّلت تلك المعارض بداية انطلاقتي في تبني فكر تشكيلي مختلف، كما أوجدت لي محكا إعلاميا رائعا، الأمر الذي منحني المزيد من الوهج، فالطروحات النقدية والكتابات التي صاحبت المعرضين أوجدت لديّ مفاهيم فنية مختلفة".

ويضيف أنه بعد ذلك تعدّدت معارضه الفنية وتمثيله للسعودية في العديد من البلدان الأوروبية والعربية مثل السويد والدنمارك والنرويج وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا، بجانب الكويت والإمارات وسلطنة عمان والبحرين، لافتا إلى أن تلك المشاركات مكنته من زيارة متاحف الفنون العالمية ورؤية أعمال فنانين كبار مثل سلفادور دالي وبابلو بيكاسو، وغيرهما، واقتناء كتب فنية عالمية منحته ثقافة مغايرة.

وحول أهم المدارس الفنية التي شكّلت ملامح مسيرته، قال إنه وقبل خمسة وثلاثين عاما مضت، تكوّنت لديه قناعة تمثلت في الحرص على أن يكون متميزا في طروحاته التشكيلية، وقد رافق سيره على نهج المدرسة الواقعية بعض الجوانب السريالية، أو الرمزية التي تُعبّر عن المشاعر والأحاسيس الداخلية للإنسان.

فهد الربيق

التشكيل السعودي انتهج نهجا فنيا معاصرا موصولا بتراث الأجداد

وحول عوالمه الفنية وعلاقته باللوحة والريشة والألوان، قال إنه انشغل في بداياته بالتركيز على مهارة الرسم، موظفا ما اكتسبه من ثقافة في تنمية تلك المهارة، ثم انطلق من الواقعية إلى خيال السريالية في رسم التراث، وأنه يشعر بالجمال ويحسّه حين يرسم بيوت الطين والنخيل والطبيعة والآثار القديمة، ويشعر بفرحة عارمة عند ولادة كل لوحة.

وحول رؤيته لحضور المرأة بالمشهد التشكيلي السعودي والعربي، قال إنه لا يجد فرقا بين الرجال والنساء في ممارسة الفنون التشكيلية، وأن الفارق يكون في القدرة على التعبير عن الإحساس والمشاعر الوجدانية، بجانب المهارة، وأن المرأة العربية حاضرة في المشهد التشكيلي، وأن بعض الفنانات بالسعودية وسوريا ومصر والعراق وصلت أعمالهنّ إلى العالمية، وأن أعداد الفنانات بوطنه في تزايد كبير، وذلك بالقياس إلى نظيراتهنّ من الفنانات ببلدان العالم العربي.

وفهد بن ناصر الربيق فنان تشكيلي سعودي، عُرف بتنوّع أساليبه الفنية، ويعتبر إحدى قامات الفن التشكيلي بالمملكة، وقد بدأت مسيرته الفنية عبر معرض شخصي أقامه في سن السادسة عشرة من عمره، وأقام وشارك في معارض محلية وعربية عديدة، فيما تجاوزت مشاركاته الدولية الأربعين مشاركة.

رموز تراثية تكتظّ بالألوان والظلال